السيدة زينب
في تاريخ الإسلام

الشيخ اليوسفي الغروى

السيدة زينب في المدينة

تمهيد:

هذه سطور مضيئة من سيرة بطلة كربلاء وشريكة أخيها الحسين سيد الشهداء× في حمل رسالة نهضته المقدسة، السيدة العقيلة الحوراء (زينب بنت علي بن أبي طالب×، وكيف لا تأخذ هذه المكانة العالية في تاريخ الإسلام، وهي سليلة بيت النبوة والإمامة، فجدّها محمد المصطفى’ وأبوها علي المرتضى×، وأمها فاطمة الزهراء.

وقبل التعرّف عليها، نلقي الضوء على لمحات من سيرة أبويها، وذلك في سطور.

أبوها الإمام علي×:

ما عسى أن يقول القائل بشأن أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين إلى جنّات النعيم: علي بن أبي طالب×!

فقد روي عن النبي’ أنه قال فيه: **«لو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً وأوراقها قرطاساً، والجن والإنس كُتّاباً، لما أحصوا مناقبه»**[1]، ونقل سبط ابن الجوزي الحنبلي الدمشقي، عن مجاهد مولى ابن عباس، أن رجلاً قال لابن عباس: أتظنّ أنّ فضائل عليّ ثلاثة آلاف؟ فقال ابن عباس: لو أن الشجر أقلام والبُحور مداد، والإنس والجنّ كتّابٌ وحُسّاب ما أحصوا فضائل علي×.[2]

وسُئل الإمام محمد بن إدريس الشافعي (م: 304هـ) عن قوله في علي× فقال: ما أقول في حق امرئ كتمت مناقبه أولياؤه خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثم ظهر بين الكَتْمين ما ملأ الخافقين.

ونظم قولَه أحد علماء جبل عامل شعراً، فقال:

لقد كتمَتْ آثار آل محمدٍ ... محبّوهُم خوفاً وأعداؤهم بُغضا

فأُبْرِزَ من بين الفريقين نَبذةٌ ... بها ملأ الله السماواتِ والأرضا[3]

وقيل للشاعر الشهير أبي الطيب المتنبي: لِمَ تركت مدح علي×؟ فأجابه شعراً:

وتركتُ مدحي للوصيّ تعمُّداً وإذا استطال الشيء قام بنفسه		إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا[4]

1 . كنز الفوائد للكراجكي: ج 1 ص 280، من القرن الرابع الهجري.
2 . تذكرة الأمة بخصائص الأئمة: ص 13.
3 . انظر الباب الذهبي لمحمد علي الطبسي النجفي: ص 23.

أمّها فاطمة الزهراء:

وهي من أهل بيت النبي’ ممن شهد القرآن بعصمتهم في آية التطهير، فقد روى الطبري، في من روى، عن النبي’ من همدان اليمن، عن أبي الحمراء الهمداني: أن النبي كان يأتي باب علي وفاطمة، لكل صلاة تسعة أشهر فيناديهم: الصلاةَ يرحمكم الله، ثم يتلو الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وروى الجزري الموصلي، عن أنس بن مالك: أن النبي كان يمرّ على بيت علي وفاطمة ستة أشهر لصلاة الصبح يناديهم: الصلاة يا أهل بيت محمد، ثم يتلو الآية.[2]

وروى ابن عبد البرّ الأندلسي في (الاستيعاب) عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً بالنبيّ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فرحّب بها وقبّلها، كما كانت هي تصنع به إذا دخل عليها، وما رأيت أحداً أصدق لهجة من فاطمة، فسُئلت: مَن كان أحبّ الناس إليه؟ فقالت: فاطمة، فقيل: فمِن الرجال؟ فقالت: زوجُها[3]، وكنتُ جالسة عند النبي’ فجاءت فاطمة تمشي كأنّ مِشْيتَها مشيةُ النبي، فقال لها: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها إلى جانبه.[4]

---

4 . ذكرها الكراجكي في كنز الفوائد: ج 1 ص 281، فاستدركها البرقوقي في شرح ديوان المتنبي على شرح الواحدي.

1 . ذيول تاريخ الطبري: ص 589 ومثله في المناقب للخوارزمي الحنفي: ص 60، والآية من سورة الأحزاب: 33.

2 . أسد الغابة: ج 5 ص 521، وأنس بن مالك كان بوّاب النبي وخادمه.

3 . الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج 4 ح 1896.

4 . الطبقات الكبرى: ج 2 ص 247.

ولادة السيّدة زينب:

عن الإمام الباقر× قال: «تزوّج علي فاطمة في شهر رجب بعد الهجرة بخمسة أشهر»[1] وكان ثمرة هذا القران المبارك الحسنان وأم كلثوم وزينب الكبرى.[2]

ففي منتصف شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة، قبل غزوة أُحُد بشهر تقريباً، وُلد أكبر أبناء علي والزهراء÷: الحسن×.

وفي الثالث من شهر شعبان من السنة الرابعة ولد ثاني السبطين، وثالث الوصيين: الحسين×.

ثم وَلدت الزهراء ابنتها أم كلثوم، وبعدها زينب الكبرى[3]. وقد ذكر العُبيدلي النسّابة من علماء القرن الثالث الهجري: «وُلدت زينب في حياة جدّها»[4]، ولذلك عدّها ابن الأثير الجزري الموصلي في كتابه (أسد الغابة) من الصحابيات، وقال: «كانت امرأة عاقلة لبيبة جزلة»[5]، من دون تعيين لتاريخ ميلادها.

ورجّح الشهيد السيد دستغيب+ في كتابه عن حياة السيدة، والشهيد السيد القاضي التبريزي+ في تعليقاته على كتاب الفردوس الأعلى لأستاذه الشيخ كاشف الغطاء، أن يكون مولدها في الخامس من شهر جُمادي الأولى، وعليه العمل في الجمهورية الإسلامية في إيران.[6]

وجاء في كتاب (السيدة زينب) لمؤلّفه حسن محمد قاسم المصري، أنها وُلدت بعد أخيها الحسين× بعامين في السنة السادسة للهجرة من شهر شعبان[7] ورجّح بعض العلماء أن يكون عام ولادتها في السنة السابعة للهجرة، بعد وفاة خالتها زينب التي

---

1 . الطبقات الكبرى: ج 2 ص 247 لابن سعد (م: 220هـ).

2 . إن أكبر بنات علي من فاطمة هي أم كلثوم وقد دفنت في البقيع، ومن بعدها زينب الكبرى بطلة كربلاء وإنما لقبت بالكبرى تمييزاً لها عن زينب الصغرى التي هي من غير فاطمة وأمها أم ولد.

3 . تاريخ أهل البيت بتحقيق السيد الحسيني الجلالي: ص 53 ط قم المقدسة، وكذلك في المعارف لابن قتيبة: ص 210، وهو متوفى: 276هـ .

4 . أخبار الزينبات للعُبيدلي النسّابة.

5 . أسد الغابة، وعنه في سفينة البحار للمحدث القمي: ج 3 ص 497.

6 . يعرف هذا اليوم رسمياً في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بـ(يوم الممرضات) وذلك تخليداً لمواقف تلك السيدة الجليلة.

7 . السيدة زينب بقلم حسن محمد قاسم المصري: ص 20، وعليه العمل في القاهرة حتى اليوم.

صلّت عليها السيدة الزهراء[1]، فقد كان من عادة كرام العرب، تكريم أمّهات أولادهم، وذلك من خلال إفساح المجال أمامهن لتسمية أولادهم سواء الذكور منهم أو الإناث، ومن الطبيعي أن تسعى السيدة الزهراء لتخليد ذكرى أختها أم كلثوم وزينب، وذلك بتسمية بناتها بأسمائهن وفاءً لهنّ.

زينب تروي خبر خطبة أمّها الزهراء:

عايشت السيدة زينب كل الأحداث التي رافقت وفاة جدّها رسول الله ’ وما جرى بعد الوفاة، ولا نستغرب إدراكها لكل تلك الأحداث، على صغر سنّها، لنبوغها المبكّر.[2]

ولا أدَلَّ على نبوغها من أنّها روت خطبة أمها الزهراء ولم تتجاوز الخامسة من عمرها (بناءً على ما ذكرنا من تاريخ ولادتها).

الخطبة الأولى:

فأمّا خطبة الزهراء الأولى في مسجد أبيها رسول الله ’ بين أصحابه المهاجرين والأنصار، فقد رويت من طُرق عديدة مختلفة، روى بعضها الشيخ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور الخراساني البغدادي (م: 280هـ) في كتابه المعروف (بلاغات النساء)، وهو من أقدم المصادر التي بين أيدينا في هذا الموضوع، حيث يقول: التقيت في بلدة الرافعة برجل من أهل ديار مصر يدعى جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي بسنده المتصل بأربعة وسائط عن زيد بن علي بن الحسين بن علي، عن عمّته زينب أخت الحسين قالت: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منعها فدكاً لاثت خِمارها، وخرجت في حشد من نسائها ولُمّة من قومها تجرّ أدراعها (ملابسها) ما تخرم مشيتها مِشية رسول الله شيئاً، حتى دخلت على أبي بكر (في مسجد أبيها) وهو في حشد من المهاجرين والأنصار. ثم أسلبت بينها وبينهم سَجْفاً (سِتراً)، ثم أنّت أنّةً أجهش القوم بالبكاء. فلما سكنت فورتهم قالت: **«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، وللثناء بما قدّم من عموم نِعمٍ ابتدأها وسبوغ آلاءٍ أسداها وإحسان مِننٍ والاها...»**.[3]

ثم ذكّرتهم بما كانوا عليه في جاهليتهم من الحالة المُزرية والأوضاع الرديئة، وأن الله أنقذهم بأبيها محمد ’ بعد (اللتيّا والتي)، وما خاضه من الحروب معهم، ثم مع أهل

---

1 . الاستبصار: ج 1 ص 485 ح 6485، والتهذيب: ج 3 ص 333 ح 1043.
2 . عيون أخبار الرضا×: ص 258؟ وأصول الكافي: ج 2 ص 16؟!.
3 .

الكتاب اليهود، وما كان لعلي× فيها من دور بارز، كما ذكّرَتْهم بما ظهر فيهم بعد وفاة أبيها من النفاق وعدم الوفاق مع ما أمر به ونهى عنه وحذّره، ثم توجّهت بخطابها نحو الخليفة فاحتجّت عليه بآيات من القرآن الكريم في إرث الأنبياء، ضاربة لهم الأمثلة في ذلك من كتاب الله المجيد، مفنّدة ما زعمه في إرثها من أبيها النبي’، ثم وصفت للأنصار عظم المصيبة بوفاته’ وعدم رعايتهم لحقه وحقها فأنذرتهم وحذّرتهم، وختمت كلامها بلوم القوم ثانية، والشكوى إلى جهة قبر أبيها في الختام.

وظاهر الخبر حضور زينب وسماعها للخطبة، وحفظها لها، وروايتها للخطبة لزيد حفيد أخيها الحسين×، ومن المحتمل أيضاً أنها حفظتها عن أخويها الحسنين، أو أمّها بعد ذلك.

زينب والخطبة الثانية لأمها:

لقد كان للخطبة الأولى للسيدة الزهراء، تأثير كبير في أوساط المدينة المنورة، بما حملتها من أفكار عظيمة، وقد لعبت السيدة زينب دوراً كبيراً في نقل هذه الخطبة إلينا من خلال حفظها وروايتها، أما الخطبة الثانية للسيدة الزهراء والتي ألقتها في جماعة من النساء اللاتي جئن لعيادتها حينما وقعت طريحة الفراش، فليس عندنا نصّ يدلّ على رواية السيدة زينب لهذه الخطبة، ولكن يمكن القول: بما أن زينب نقلت الخطبة الأولى العامة في المسجد، فالأولى أن تروي الخطبة الثانية في الدار، مع التأكيد مرة أخرى على افتقادنا لنصّ يدل على روايتها لخطبة أمها الثانية.

وهذه الخطبة أيضاً يرويها الشيخ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن أبي طيفور الخراساني البغدادي (م: 280هـ) في (بلاغات النساء) بسنده عن التابعيّ عطية العوفي الكوفي من أصحاب الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما مرضت فاطمة المرضة التي توفّيت بها، دخل النساء عليها لعيادتها، فلما قلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحتِ من عِلّتك؟ قالت لهن: **«أصبت ـ والله ـ عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم! لفظتهم بعد أن عجمتُهم، وشَنأتُهم (كرهتُهم) بعد أن سبرتُهم (خبرتُهم) فقبحاً لفلول الحدّ، وخَوَرِ القنا وخطَل الرأي (بعد الجِدّ)ـ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ [1] لا جَرَم لقد قلدتهم ربقتها، وشَنَنْتُ عليهم عارها، فجدعاً وعُقراً وبُعداً للقوم الظالمين! ويحهم! أنّى زحزحوها (الخلافة) عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح**

1 . سورة المائدة، الآية: 80 .

الأمين، الطَبِن (الخبير) بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين...»[1]، إلى آخر خطبتها.

ثم عرّجت بعد ذلك على جوهر خطبتها، حيث استغربت إبعاد زوجها أمير المؤمنين× عن الخلافة، وهو أولى بها لما حباه الله من الصفات الجليلة، ولكنها ذكرت العلّة في ذلك بقولها:

«... ولكنهم نقموا عليه نكير سيفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله ...».

واستنكرت عليهم فعلهم ذلك، فلو سلّموه زمام أمورهم لسار بهم في أيسر السبل، ولم يألُ جهداً في تقديم النصح بإخلاص، لكنهم أبوا ذلك، فجرت على الأمّة من المصائب والمحن التي أنذرتهم السيدة الزهراء منها.

السيدة زينب بعد وفاة أمها الزهراء÷:

بعد وفاة السيدة الزهراء÷، عمل زوجها أمير المؤمنين على تنفيذ كافة وصاياها، ومنها الزواج بابنة أختها زينب وتسمّى (أمامة)، حيث قالت لأمير المؤمنين× عندما اشتدّ بها المرض:

«... وأن تتزوج بعدي بابنة أختي زينب (أمامة) تكون لولدي مثلي ...».[2]

وإن دلّ هذا على شيء، فإنّما يدلّ على شدّة حرص الزهراء على عدم حرمان أولادها العطف والحنان الذي كانت توفره لهم السيدة الزهراء كما أنّه يدلّ على المكانة المميّزة التي كانت تحتلها (أمامة) في قلب السيدة الزهراء.

وبعد تسع ليال من وفاة السيدة الزهراء خطب أمير المؤمنين× (أمامة) من الزبير بن العوام الأسدي، فزوّجه إياها.[3]

وقد كانت تلك المرأة الطيبة لزينب وإخوتها مِثلَ أمّهم ـ كما أشارت إلى ذلك السيدة الزهراء ـ وتجدر الإشارة هنا إلى دور خادمتهم الصالحة فضّة الحبشية.

---

1 . بلاغات النساء: ص 19 ـ 20 ط القاهرة لسنة 1361هـ .

2 . كتاب سليم بن قيس: ج 2 ص 870 ومثله في مصباح الأنوار المخطوط (ق 6هـ) عن الإمام الباقر×، وانظر موسوعة التاريخ الإسلامي: ج 4 لليوسفي الغروي.

3 . مناقب آل أبي طالب، للحلبي الساروي المازندراني: ج 3 ص 351 عن قوت القلوب للمكي، وقيل: بل كان ذلك بعد خمسين يوماً من وفاة فاطمة كما في موسوعة التاريخ الإسلامي: ج 3 ص 44 بالهامش.

ولا ننسى، كذلك، ضمن أولئك النساء الصالحات، زوجة أمير المؤمنين× الأخرى السيدة العظيمة أم البنين الأربعة (فاطمة بنت حزام الكلابية)، وما كان لأولادها من دور كبير في كربلاء إلى جانب أخيهم الإمام الحسين× وأختهم الطاهرة زينب، وهي التي استقبلت زينب عند ورودها مدينة جدّها رسول الله’ بعد وقعة كربلاء ولكن لها في ذلك موقف مشهود يدلّ على شدّة إخلاصها للإمام الحسين×.

زواج السيدة زينب:

كانت السيدة زينب مسمّاة لابن عمّها عبد الله بن جعفر الطيّار، كما جاء في الخبر عن ابن عباس.[1]

وقد زوّجها الإمام علي× لعبد الله بن جعفر، فولدت له محمداً وعلياً وعباساً وعوناً الأكبر وأمّ كلثوم.[2]

وأكبر الظن أن عبّاساً وُلد بعد وفاة عمّهم العباس بن عبد المطلب في أواخر عهد عثمان، فسمّي به وفاءً له وتخليداً لذكره، كما أن أمّ كلثوم ولدت بعد وفاة خالتها أم كلثوم بنت علي×، فسمّيت باسمها وفاءً واحتراماً.

عبد الله بن جعفر مع علي والحسن‘:

لقد كان أبناء جعفر الطيار ممن ثبتوا على الحق مع أمير المؤمنين× بعد وفاة رسول الله’، ومنهم زوج السيدة زينب عبد الله بن جعفر الطيار، وأمّه أسماء بنت عميس، وقد شارك مع أمير المؤمنين في حروبه في الجمل وصفين، حيث كان عبد الله يتقدم على عمّه أمير المؤمنين× في صفين ليفديه بنفسه[3] ويدفع عنه المكاره.

وقد كان أمير المؤمنين× يستشيره في بعض الأمور، ومنها تولية محمد بن أبي بكر على مصر، حيث أشار عليه ابن جعفر بذلك فعمل أمير المؤمنين× بمشورته، وولّى محمد بن أبي بكر عليها.

وبعد استشهاد أمير المؤمنين× وانتقال الإمامة والخلافة إلى ولده الإمام الحسن×، كان عبد الله بن جعفر مع الإمام الحسن× في جميع مواقفه، سواءٌ الحرب على

---

1 . شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي البغدادي: ج 12 ص 50 عن الزّبير في الموفقيّات.

2 . المعارف لابن قتيبة: ص 207. تحقيق ثروة عكاشة، وانظر سفينة البحار: ج 3 ص 497 عن أسد الغابة للجزري الموصلي.

3 . تاريخ الطبري: ج 5 ص 148 عن وقعة صفين.

معاوية أو الصلح معه، وهذا يدلّ على شدّة ولائه للإمام الحسن×.

عبد الله بن جعفر مع الإمام الحسين×:

لمّا عزم الإمام الحسين× على الخروج إلى كربلاء، كان لعبد الله بن جعفر موقف عظيم معه، يدلّ على رسوخ إيمانه وعقيدته في التمسك بخط الإمامة.

وقد بلغ من شدّة حرصه على حياة الإمام الحسين×، أنّه لما علم بحضور الحسين× في موسم الحج في مكة المكرمة، ذهب إلى والي الأمويين على مكة آنذاك (عمرو بن سعيد الأشدق)، وطلب منه أن يكتب للإمام الحسين× كتاب أمان يردّه عن الخروج إلى كربلاء، فقبل ذلك الوالي اقتراحه، فكتب عبد الله بن جعفر كتاب الأمان ذاك، ووقَّعه الوالي.

ولكن الإمام الحسين× أبى ذلك، وعندها يذكر التاريخ لنا موقفاً مشرّفاً آخر لعبد الله بن جعفر، حيث أذن لزوجته السيدة زينب بمرافقة أخيها الحسين× في مسيره الى كربلاء، كما أنه أمر ابنيه محمداً وعوناً أن يكونا مع خالهم الحسين×، ليكونا عوناً له في نهضته، وقد جاهدا في كربلاء واستشهدا في ملحمة عاشوراء، وأما أمّهما السيدة زينب فقد أدت دورها وأتمت رسالتها بعد استشهاد أخيها الحسين× وذلك عبر خطبها البليغة ومواقفها المشهودة التي خلّدها التاريخ فكانت بحق شريكة الحسين× في نهضته المقدسة.

السيدة زينب في كربلاء

بطلة كربلاء ليلة عاشوراء:

كانت ليلة عاشوراء من الليالي الصعبة التي مرّت على السيدة زينب، ولا سيما أنها علمت بما سيجري على أخيها الحسين× وأهل بيته وأنصاره في يوم عاشوراء، وما سيحلّ بها وبالنساء بعد استشهادهم، ويروي الإمام السجاد× وقائع تلك الليلة وما جرى بين السيدة زينب وأخيها الحسين×، بقوله: «كنت في الليلة التي قتل أبي في صبيحتها مريضاً، وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذ سمعت أبي يقول:

يا دَهرُ أفٍّ لك من خليل كم لكَ بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمر إلى الجليل وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي»

قال السجّاد×: «ففهمتها وعرفت ما أراد.. وعلمت أن البلاء قد نزل، فخنقتني عبرتي ولكني رددتها ولزمت السكوت (لحضور عمّتي زينب)، ولكنّها لمّا سمعتْ ما سمعتُ، لم تملك نفسها ووثبت تجرّ ثيابها حتى انتهت إليه فنادت: وا ثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمّي، وعليّ أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضين وثمال الباقين.

فلما سمعها ورآها الحسين× ناداها: يا أُخيّة، لا يذهبنّ بحلمكِ الشيطان. فقالت له: بأبي أنت وأمّي يا أبا عبد الله، أاستَقْتَلتَ نفسي فداك؟

فترقرقت عيناه، ولكنّه ردّ غصّته، وقال لها: لو تُرك القطا ليلاً لنام.

فقالت: أتُغتصب نفسُك اغتصاباً؟ فذلك أشدّ على نفسي، وأقرح لقلبي. ثم خرّت مغشيّاً عليها.

فلما رأى الحسين× ذلك قام اليها بماء فصبّه على وجهها وقال لها: يا أخيّة اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده. أبي خيرٌ منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خيرٌ منّي، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة (في الموت). يا أخيّة، إني أقسم عليكِ فأبِرّي قَسمي: لا تشُقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدْعي بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثم أخذ بيدها

وجاء بها حتى أجلسها عندي[1]».

زينب في يوم عاشوراء:

زحف عمر بن سعد بن أبي وقاص الزُّهري بجيشه صبيحة يوم العاشر من محرم الحرام، على الإمام الحسين× ومن معه من الهاشميين وأنصارهم، وقد استشهد الأنصار قبل بني هاشم، وفي مقدمة هؤلاء الهاشميين برز إلى ساحة القتال علي الأكبر ابن الحسين×، وقاتل قتالاً شديداً حتى صُرع جريحاً، فخرج إليه أبوه الحسين×، وكأن أخته زينب رأت أن تسترعي انتباه أخيها الحسين× عن مصرع ابنه عليّ إلى نفسها فتصرفه عنه، قال الراوي: خرجت امرأة من الأخبية تنادي: يا أخيّاه، ويا ابن أخيّاه، فجاءت حتى أكبّت على علي بن الحسين×، فقام الحسين إليها، وأخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط.[1]

وبعد استشهاد أنصار الحسين× وأصحابه بقي وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين، فباشر القتال والدفاع عن نفسه بنفسه، وأقدم شمر عليه بالرجّالة عن يمينه وشماله، وأحاطوا به من كل جانب ومكان، ودنا منه عمر بن سعد، فخرجت الحوراء زينب ونادت عمر بن سعد: يا ابن سعد، أُيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فصرف بوجهه عنها![2]

زينب والعيال إلى الكوفة:

بعد أحداث عاشوراء أقام عمر بن سعد حتى يوم الحادي عشر من المحرّم، ثم أمر العسكر بالرجوع إلى الكوفة، وأمر بحمل بنات الحسين وأخواته، والصبيان وعليّ بن الحسين السجّاد وهو مريض، وعندما مرّت زينب على جسد أخيها الحسين× وهو صريع لم يُدفن نادت: يا محمداه! يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء! يا محمداه! وبناتُك سبايا، وذريتك مقتّلة تسفي عليها الصَّبا!.

فأبكت كل صديق وعدوّ، وصحن النسوة ولطمن وجوههن.[3]

---

1 . وقعة الطف: ص 200 ـ 201 عن تاريخ الطبري: ج 5 ص 42، وإرشاد المفيد: ج 2 ص 93 ـ 94.

1 . وقعة الطف: ص 243 عن تاريخ الطبري: ج 5 ص 446، وإرشاد المفيد: ج 2 ص 107 ط قم.

2 . وقعة الطف: ص 252 ـ 254 عن تاريخ الطبري، وإرشاد المفيد.

3 . المصدر السابق.

خطبتها في الكوفة:

روى المفيد في أماليه، عن المرزباني، عن الجوهري، بسنده عن حذلم بن بشير قال: قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين (61هـ . ق)، ومنصرف علي بن الحسين× بالنسوة من كربلاء مع الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، وهم على جمال بغير وِطاء، وجعل نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن.

فقالت زينب ـ وكأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين× ـ :

«الحمد لله، والصلاة على أبي رسول الله، أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل، فلا رقأت العَبْرة ولا هدأت الرنّة، فما مثلكم إلا كالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ [1]

ألا وهل فيكم إلا الصَّلِف النَّطِف والصدر الشَّنِف، خوّارون في اللقاء، عاجزون عن الأعداء، ناكثون للبيعة مضيِّعون للذمَّ ظَلِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ [2]

أتبكون؟! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، لقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنَسها عنكم أبداً، فسليل خاتم الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم وأمارة محجتكم، ومدرجة حجتكم خذلتم وله قتلتم، ألا ساء ما تزرون، فتعساً ونُكساً، فلقد خاب السعي وتربت الأيدي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضُربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم! أتدرون أي كبدٍ لرسول الله فريتم؟! وأيَّ دَمٍ له سفكتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم! ؟ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا [3]

لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء، مِلءَ الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أخزى، فلا يستخفّنكم المَهَل، فإنه لا يحفّزه البدار ولا يُخاف عليه فوت الثار، وإنّ ربّك لبالمرصاد».

قال الراوي: فرأيت الناس حيارى قد ردّوا أيديهم في أفواههم ورأيت شيخاً قد بكى

---

1 . سورة النحل، الآية: 92.
2 . سورة المائدة، الآية: 8 .
3 . سورة مريم، الآية: 89 ـ 90.

حتى اخضلّت لحيته وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عُدَّ نسل لا يخيب ولا يخزى[1]

ولمّا أرادوا إدخالهنّ إلى قصر دار الإمارة على الأمير الأمويّ عبيد الله بن زياد، لبست زينب× أرذل أثوابها لتتنكّر فلا يعرفوها، وأمرت الإماء والجواري أن يحففن حولها لتجلس بينهنّ متنكرة. ولكن الأمير الأموي ابن زياد أراد أن يشهِّر بها فنادى: مَن هذه المتنكرة؟ ثلاث مرات.

فبدرت أمة من إمائها وقالت: هذه زينب، ابنة فاطمة!.

فلما عرفها ابن زياد قال لها: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم.

فقالت: **«الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد’، وطهّرنا تطهيراً[2] لا كما تقول أنت، إنّما يفتضح الفاسق ويُكذَّب الفاجر».**

قال: فكيف رأيت صُنع الله بأهل بيتك؟

قالت: **«هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّون إليه وتُخاصمون عنده».**

فغضب ابن زياد واستشاط وقال لها: قد أشفى الله نفسي من طاغيتكِ والعُصاةِ المَرَدَةِ من أهل بيتك!

فبكت، ثم قالت: **«لعَمري لقد قتلت كَهلي، وأبَرْت (قطعت) أهلي، وقطعت فرعي واجتثثت (قلعت) أصلي، فإن يَشفك هذا فقد اشتفيت».**

ثم نظر ابن زياد إلى عليّ بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ قال: **«أنا عليّ بن الحسين».**

ثم نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين فقال له: ما اسمُك؟

قال: **«أنا علي بن الحسين».**

قال: أوَلَم يقتل الله عليّ بن الحسين؟ فسكت (الإمام×).

---

1 . أمالي المفيد: ح 8 م 38 وعنه في أمالي الطوسي: ح 51 م 3، وأقدم مصدر بلاغات النساء: ص 34 ط بيروت.

2 . تُشير إلى آية التطهير: 33 من سورة الأحزاب.

فقال ابن زياد: ما لك لا تتكلّم؟

قال: **«قد كان لي أخ يقال له أيضاً، علي، قتله الناس».**

قال ابن زياد: بل الله قد قتله، فسكت عليّ بن الحسين×.

فقال ابن زياد: ما لك لا تتكلّم؟

فتلا الإمام قوله سبحانه في سورة الزُّمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

فغضب ابن زياد أيضاً، وقال له: أنت ـ والله ـ منهم، ثم أمر بقتله. فتعلّقت به عمّته زينب، وقالت لابن زياد: يا ابن زياد، حسبك منّا، أما رُويت من دمائنا؟ وهل أبقيت أحداً منّا؟! فإن كنت مؤمناً أسألك بالله إن كنت تقتله لما قتلتني معه.

فنظر إليها ثم قال: عجباً للرّحم، والله لودّت لو قتلته أن أقتلها معه، دعوه.[1]

ثم أمر الأمير الأموي ابن زياد بالإمام السجاد× فغُلّ بغُلٍّ من حديد في يديه ورجليه إلى عنقه، وأمر بنساء الحسين× وصبيانه، فجُهّزن إلى يزيد بن معاوية الأموي إلى دمشق الشام.

---

1 . وقعة الطف: ص 259 ـ 263 عن تاريخ الطبري وإرشاد المفيد.

السيدة زينب في الشام

زينب في مجلس يزيد بالشام:

ولما قدموا بالسيدة زينب والإمام السجاد× وأهل بيت النبوة إلى الشام دعا يزيد أشراف أهل الشام وجلس جِلسة عامّة، وأجلس الأشراف حوله، ثم دعا بعليّ بن الحسين×، وصبيان الحسين ونسائه فأدخلوهم عليه، والناس ينظرون حتى أجلسوهم بين يديه على هيئة قبيحة.

وكان من بنات الحسين× فاطمة ابنته وهي جارية صغيرة، فظن رجل من أشراف أهل الشام أنهنّ من الإماء والجواري وله أن يطلب من الأمير يزيد أن يهبَ له من شاء منهن، فقام إلى يزيد وقال له: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه. وأشار إلى فاطمة بنت الحسين×.

فروي عن السيدة فاطمة هذه أنها قالت: ظننت أن ذلك جائز لهم، فخفت وأرعدت، وأخذت بثياب عمّتي زينب، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون لهم، فقالت للرجل: **«كذبت، والله، ولؤمتَ، ما ذلك لك ولا له».**

فلما سمعها يزيد، غضب، وقال لها: كذِبتِ والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت.

فقالت زينب: **«كلا والله، ما جعلَ الله ذلك لك، إلا أن تخرج من ملّتنا، وتدينَ بغير ديننا».**

فغضب يزيد واستشاط غيظاً ثم قال: أإياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك!

فقالت زينب: **«بدين الله ودين أبي وأخي وجدّي، اهتديت أنت وأبوك وجدّك».**

فقال: كذبتِ يا عدوّة الله.

فقالت: **«أنت أمير مسلَّط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك».**[1]

فسكت.

خطبتها في مجلس يزيد:

وروى الخوارزمي بسنده عن رجل من بني تميم من أهل الكوفة قال:

---

1 . وقعة الطف: ص 267 ـ 272 عن تاريخ الطبري وإرشاد المفيد.

كان رأس الحسين× في طشت بين يدي يزيد، وجعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

فقامت زينب بنت علي وقالت: «**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله (سبحانه) حيث يقول: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون[1].**

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى. أنّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟! وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالى: وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ[1].

أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، يحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدنيّ والشريف، ليس معهنّ من حماتهنّ حميّ، ولا من رجالهنّ ولي؟.

وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟.

وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ ثم تقول غير مستأثم ولا مستعظم.

---

1 . سورة الروم، الآية: 10.

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب. أو تهتف بأشياخك، زعمت أنك تناديهم، فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت وفعلت. اللهم خُذ لنا بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا.

فو الله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولَتَرِدَن على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في ذريته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقهم: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً وبجبرئيل ظهيراً. وسيعلم من سوّل لك، ومكّنك من رقاب المسلمين ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ أيّكم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾؟[2].

ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصُدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي، تنتابها العواسل، وتعفرها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدن وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعول.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا،

---

1 . سورة آل عمران، الآية: 169.
2 . سورة الكهف، الآية: 50.
3 . سورة مريم، الآية: 75.

ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها. وهل رأيك إلا فند؟ وأيامك إلا عدد؟ وجمعك إلا بدد؟ يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

ثم سيّرهم يزيد بن معاوية مع النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة.

1 . مقتل الحسين× للخوارزمي: ج 3 ص 71 ـ 74، بلاغات النساء: ص 31 ـ 33 ط بيروت.

السيدة زينب بعد فاجعة كربلاء

وأما أحوال السيدة زينب في المدينة بعد رجوعها من الشام فإنها لما عادت والإمام السجاد وأهل بيته إلى مدينة جدّهم رسول الله’، بلغ عبد الله بن جعفر زوج زينب مقتل ابنيه محمد وعون مع الحسين×، فجلس للعزاء عليهم، وأخذ الناس يدخلون عليه يعزّونه بمصابه بهم، فلما اجتمعوا عنده قال: الحمد لله عزّ وجل على مصرع الحسين، إن لم تكن يداي واست حسيناً فقد واساه وَلَداي، والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أُقتل معه، والله إنه لممّا يُسخي بنفس عنهما، ويهوّن عليّ المصاب بهما، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمّي، مواسيَين له صابرَين معه.[1]

ونقل العبيدلي العرجي في كتابه (أنساب آل أبي طالب)[2] بسنده عن مصعب بن عبد الله، قال: لما قام عبد الله بن الزبير بمكة، وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين، وخلع يزيد، وبلغ ذلك أهل المدينة، خطبت زينب فيهم وصارت تؤلّبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك الأمير الأموي على المدينة عمرو بن سعيد الأشدق وكتب إلى يزيد يُعلمه بالخبر.

فكتب يزيد إليه: أن فرّق بينها وبينهم (أهل المدينة).

فأبلغها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء.[3]

وخرجت الحوراء زينب من المدينة كرهاً، في أواخر شهر ذي الحجة سنة 61 للهجرة أي قبل أن يحول الحول على قتل أخيها الحسين× ومعها ابنتاه فاطمة وسكينة، قاصدة مصر.

وبعد مضي سنة توفيت عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من شهر رجب سنة 62 للهجرة.

---

1 . وقعة الطف: ص 272 ـ 274، عن تاريخ الطبري: ج 5 ص 466، وإرشاد المفيد: ج 2 ص 124.

2 . إن أقدم مصدر معتبر لأخبار السيدة زينب هو ما كتبه السيد علي بن الحسن العبيدلي الأعرجي، المنسوب إلى عُبيد الله الأعرج بن الحسين بن علي بن الحسين السجاد×، الذي أدرك الإمام الرضا× وروى عنه، له كتاب: أنساب آل أبي طالب، ولذا عُرّف بالعُبيدلي النسّابة، وله رسالة أخبرا الزينبات، جمع فيه الأخبار التي تخص المسمّيات بزينب المنتسبات إلى بني هاشم منهن، أو من غيرهنّ، ومنهنّ السيدة زينب بنت فاطمة، وهي رسالة مطبوعة ومنشورة.

3 . السيدة زينب وأخبار الزينبات للعُبيدلي: ص 19 ـ 22، نشر حسن محمد قاسم ط المنيرية، بمصر.

مراقد الزينبيات بنات علي×:

ذكر السيد العُبيدلي الأعرجي الحسيني النسّابة (م: 277هـ) في كتابه (أخبار الزينبات) لأمير المؤمنين علي× زينباً أخرى لقّبها بالصغرى، وقال: أمّها أم ولد، خطبها عقيل أخو علي× لابنه محمد، فزوّجه إياها، فولدت له: القاسم، وعبد الله، وعبد الرحمن، وماتت زينب هذه بالمدينة. وذكر له زينباً أخرى، ولقّبها بالوسطى.[1] وهذه أيضاً دفنت كالسابقة في المدينة، وأمّا زينب الكبرى بطلة كربلاء ففي موضع دفنها أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنها دفنت في المدينة في مقبرة البقيع وهذا القول خلاف المشهور.

القول الثاني: أنها دفنت في مصر.

القول الثالث: أنها دفنت في ناحية دمشق الشام.

وقال الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (مع بطلة كربلاء السيدة زينب بنت أمير المؤمنين×):

«ويلاحظ أن علماءنا الذين عليهم الاعتماد، كالكليني والصدوق والمفيد والطوسي والحلي لم يتعرضوا لمكان قبرها، حتى نرجح بقولهم كلاً أو بعضاً أحد الأقوال الثلاثة، فلم يبق إلا الشهرة بين الناس».

وإذا نظرنا في الأقوال الثلاثة ليس من شك أن زيارة المشهد المشهور بالشام، والجامع المعروف بمصر بقصد التقرب إلى الله سبحانه تعظيماً لأهل البيت الذي قربهم الله، ورفع درجاتهم ومنازلهم، حسنة وراجحة، لأن الغرض إعلان الفضائل، وتعظيم الشعائر، والمكان وسيلة لا غاية، وقد جاء في الحديث: «نية المرء خير من عمله».[2]

وعلى هذا الأساس لابدّ من الاهتمام بزيارتها أينما كانت، وبما أنه لم يذكر العلماء لزيارتها نصّاً خاصّاً بها، يمكننا أن نزورها بتلك الزيارات العامّة التي يُزار بها أولاد الأئمة.

والأفضل أن تزار بالزيارة التي وردت للسيدة فاطمة المعصومة بتغيير بعض

---

1 . السيدة زينب وأخبار الزينبات: ص 23، نشر حسن محمد قاسم، ط المنيرية، مصر.

2 . مع بطلة كربلاء السيدة زينب بنت أمير المؤمنين، طبعة دار التيار الجديد: ص 91 ـ 251.

الألفاظ والأسماءن وسوف نذكر نص الزيارتين مع مصادرهما في آخر الكتاب..
سائلين المولى العزيز أن يوفقنا جميعاً لزيارتها في الدنيا وشفاعتها في الآخرة.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.